الرواية الشفوية /المقابلة الشخصية

التراث الشفاهي ، هو أحد طرق البحث التاريخي، يعزز التعددية في تناول الخبر التاريخي، غالبا ما يكون مستبعدا من المصادر الأرشيفية المكتوبة، ويمكن له أن يرقى إلى منهج علمي يسعى إلى تحويل الرواية الشفوية إلى نصوص محفوظة؛ باستعمال الوسائل والتقنيات الحديثة لتوثيق الأخبار الماضية، من خلال تدوين الوقائع التاريخية على أسس علمية متينة، ونستعين في ذلك على آلات التسجيل بالصوت والصورة، وتساهم هذه التقنيات الحديثة في عملية تطوير مصادر التاريخ الشفوي، وإعطاءها المصداقية اللازمة؛ حتى تكون في متناول الباحثين.

ويعتمد هذا المنهج بالأساس على إجراءات بحثية، نقطتها المحورية المقابلات المباشرة بين الباحث وأصحاب الشهادات، أي الفاعلين التاريخيين، والتي تساعد لا محالة على تنشيط الذاكرة؛ بغية استنباط المعلومات اللازمة ليتم التدقيق فيها والتأكد من صحتها، مع مقارنتها بالمصادر الأخرى. إن المنهج الشفوي هو الذي ينتج التفاعل بين النص المكتوب والرواية الشفوية، لتجاوز الضعف الملحوظ فيهما. إن التاريخ الشفوي هو منهج بحث متعدد التخصصات، يخص جل العلوم الإنسانية التي تفتح المجال لمقاربات إشكالية جديدة ومعقدة[1].

ومن دعائم التاريخ الشفوي المقابلة الشخصية؛ فهي جزءاً من منهجيات البحث في التاريخ الشفوي، ولعل التزام الباحث بتنفيذها حسب الأصول؛ يُعد فائدة كبيرة له في مختلف جوانب لقاءاته بالرواة فيما بعد. بل إن المقابلة الشخصية، أو ما يُسميه بعضهم **بالتاريخ الحي؛** لأجل تسجيل النص الشفاهي، توضح أبعادًا نفسية وإنسانية لا يمكن الوصول إليها من خلال النص المكتوب[2]. ومن منطلق أن المقابلة الشخصية ليست لقاءً صحفياً، بل هي مقابلة تاريخية لها أسس وعناصر يجب أن تُتّبع وتنفذ من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية، نحاول في هذه المساهمة أن نستجلي الهدف من المقابلة، ونوضح قدر الإمكان منهجية تنفيذها في التاريخ الشفوي، من خلال الفقرات الآتية.

1- الرواية الشفوية، الأسس والمميزات:

اصطلاحاً: هي ما تتناقله الأجيال شفاهيةً من أحداث مضت وانقضت. ، فالتاريخ يعكس الأوجه المختلفة للأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهو مرآة الحياة،[3] وتزداد أهمية الدراسات التاريخية للتعرف على الحاضر، والتنبؤ بالمستقبل، من خلال الاستفادة من خبرات الماضي.

وقد ظهر نوع من الدراسات التاريخية عُرف باسم (التاريخ الشفوي) وهو عبارة عن، تسجيل ذكريات الناس وتجاربهم في الماضي القريب بطريقة تختلف عن المادة المكتوبة، معتمدًا على المحادثة المنضبطة بين شخصين، وتأخذ المحادثة شكل المقابلة. أو هو عبارة عن مجموعة من شهادات الناس حول تجاربهم الخاصة. وهو بذلك ليس فلوكلورًا، أو ثرثرة، أو إشاعة، بل مصدر تعزيز للمادة

التاريخية المكتوبة المتوفرة لدى المؤرخين. يرتكز التاريخ الشفوي على الرواية التي يتم الحصول عليها من خلال المقابلة، وللمقابلة عدة مكونات هي: المقابل، والراوي، والأسئلة، ووسائل التسجيل. ويعتمد التاريخ الشفوي على الذاكرة الإنسانية والكلمة المنطوقة، وتدرس الرواية الشفوية أمرين هامين هما[4]:

- التراث الشفوي: وهو دراسة الماضي البعيد من خلال الروايات الشفوية عبر الأجيال، أو جيل واحد على الأقل، بين أفراد العائلة، والجيران، وزملاء العمل، والمجتمع، والحديث عن القصص والمواقف، والتجارب، وأيام زمان.
- تاريخ الحياة: وهو دراسة الماضي القريب، من خلال روايات الأفراد وذكرياتهم من أحداث حياتهم، وخبراتهم، ومشاهداتهم، أو تلك التي شاركوا فيها.

إن جزءًا كبيرًا من التاريخ الحقيقي للأمم هو في الجانب الشفهي، والذي يهمله الكثير من الكتاب الذين حصروا التاريخ في الجنبة السياسية لا أكثر، عبر تركيزهم على تاريخ الحكام، والخلفاء، ورؤساء الدول، والأمم السابقة واللاحقة، وما يدور حولهم من أحداثٍ سياسية، أو حروب ومعارك، ولا يقومون برصد أو توثيق ومعالجة ما يدور داخل المنازل والأحياء، أو فيما بين الناس وداخل المجتمعات، أو ما يُسمَّى حديثًا (الشوارع الخلفية). إن هناك قسمًا من الشعوب، أو المجتمعات؛ والذين يُسمَّون، بالمحجوبين عن التاريخ، لا تستطيع كتابة تاريخها بنفسها لعدة أسباب منها؛ البدائية التي تعيشها، أو الأمية التي تطغى عليها، أو طبيعة الأعمال التي تقوم بها، كعمال المناجم، والبسطاء من المزارعين، وقاطعي الأشجار، أو الحرفيين التقليديين؛ ولذلك فإن هذا التاريخ الشفهي يسهم في توثيق هؤلاء، ويكشف للبشرية جوانبَ ربما تبقى غائبة عن الوعي التاريخي لولا التاريخ الشفهي[5].

إنَّ من يظنُّ أن الروايات الشفهيَّة لا تصلح وثائق ومستندات لدراسة التاريخ، قد يتراجع عن رأيه إذا تذكَّر أن أغلب الوثائق المدوَّنة كانت في الأصْل روايات شفهية متناقِلة قبل أن تُدون، وعلى هذا الأساس فإن الوثائق الشفهيَّة لا تقلُّ أهميَّة عن الوثائق المدوَّنة، ولا تتفوَّق الأخيرة على الأولى، إلا بكوْنِها تخضع لطرُق متعدِّدة للتأكُّد منها، وخلوِّها من التَّزوير، ولكن ليس من الصَّعب أن نضعَ ضوابط مُماثِلة لإثبات صحَّة الوثائق الشَّفهية قبل تسجيلها، بواسطة آلات التَّسجيل أو تدوينها[6].

وللرواية الشفوية مميزاتها، التي تجعل منها مصدرا إضافيا مهما في البحوث العلمية، من خلال ما يتوفر فيها من عناصر، وأهمها، أولا: المعلومات التي يتحصل عليها الباحث من الرواية الشفوية والتي تغطي جوانب واسعة ببحثه، وتزوده بمعلومات لم تكن لتخطر على باله، في كونها تدخل ضمن موضوع بحثه. ثانيا: تكشف للباحث على جوانب من الصفات الشخصية للأفراد؛ ممّا يمكنه بعدها من إبداء الرأي في مصداقية أحاديثهم. وثالثا: يشعر الأفراد المقابلين بمكانتهم، وبدورهم الذي قاموا به؛ من خلال تلك الأحداث التي يتكلمون عنها. رابعا: المقابلة وسيلة مهمة للرواة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، أو الأشخاص كبار السن والمعوقين[7]. وتشكل الرواية الشفوية التي تُوصف بالمصداقية

والموضوعية، بلا شك وثيقة تاريخية مهمة، بشرط أنْ تُبنى على عدة أسس يجب التثبت بها، ومعرفتها عند إجراء المقابلات، أو عند تفريغها، أو عند مراجعتها وتدقيقها، ومن تلك الأسس:

- النظر والرؤية والمشاهدة؛ ونعني بها أنْ يكون الشخص المُقابَل قد رأى وشاهد ونظر مجريات الأحداث.

- المشاركة؛ بحيث أن يكون الشخص قد اشترك في حدث معين، أو كان من صانعي ذلك الحدث، أو كان حاضرا عند وقوع الحدث.

- المعاينة؛ أي أن يكون الشخص قد وقف على عين المكان، وعاين موقع الحدث بعد حدوثه، والتأكد من نتائج ذلك الحدث.

- المساءلة؛ كأن يكون الشخص المُقابل قد قام بتوجيه سؤال إلى عالم أو فقيه، أو قاضٍ، أو مؤرخ، أو مفكر، أو تاجر أو مجاهد وغيرهم.

وتظهر أهمية الرواية الشفوية عندما تطرح جديدًا لم تكتب عنه الكتب والمصادر، مثل القصص النادرة والقضايا التراثية، والوثائق والصور وغير ذلك، كما تعبر عن تاريخ الناس العاديين، أو ما يسمى بالتاريخ الأهلي؛ فهو تاريخ بعيد عن تجاذبات السلطة، أو أخبار الأعيان والمعارك والظواهر الطبيعية، وبالتالي هو تاريخ غير مؤدلج، ويفيض بالأحداث التي يمكن رصدها من ذاكرة الرواة.

وتستعمل الرواية الشفوية في التاريخ المحلي والعالمي، وفي المدارس، والمتاحف، والثكنات العسكرية، والقرية، والمدينة، وعند النساء والرجال، وعند العمال في المصانع والمناجم، وغير ذلك، وبالتالي؛ فإن المقابلة (كتاريخ غير رسمي) تجمع مواد تاريخية جيدة من الجميع، تفيد في صياغة تاريخ مرحلة تاريخية محددة. وتفيد في فهم أعمق للشخصيات التي تتم معها، والتعرف على جوانب كانت غامضة. كما تسعى الرواية الشفوية إلى إشراك الجميع في صياغة وصناعة تاريخ المنطقة في مرحلة ما، فلا يقتصر جمع الروايات عن سن دون سن، أو جنس دون آخر، أو لون دون غيره، بل تتم المقابلات مع أناسٍ ساهموا في صناعة هذه الأحداث التاريخية[8].

2- مفهوم المقابلة لغة واصطلاحا:

تعتبر المقابلة حجر الزاوية للتاريخ الشفوي، ومحور عمله، كما تعد من التقنيات الخاصة بالبحث، والتي يمكن استخدامها في فحص العديد من مشكلات البحث، وفي بعض الظروف قد تكون المقابلة هي الطريقة الوحيدة المتوفرة للحصول على المعلومات[9]. المقابلة في اللغة: المُواجهة، يقال: قابله: لقيه بوجهه، والشيء بالشيء عارضه، وقابل الكتاب بالكتاب[10]. وفي الاصطلاح: حوار لفظي مباشر هادف وواعي يتم بين شخصين (باحث ومبحوث)، أو بين شخص (باحث) ومجموعة من

الأشخاص؛ بغرض الحصول على معلومات دقيقة، يتعذر الحصول عليها بالأدوات أو التقنيات الأخرى، ويتم تقييده بالكتابة أو التسجيل الصوتي أو المرئي[11].

والمقابلة، طريقة يتم فيها سبر غور حياة فرد غير معروف للباحث؛ بواسطة تحفيز وتذكير ذاكرة الراوي حول المعلومات التي ترجع إلى الماضي، أو فيما يتعلق بحياته الشخصية، أو محيطه الاجتماعي، عن طريق طرح أسئلة تمهيدية للأسئلة الرئيسة المتعلقة بشكل مباشر بحياة وآراء ومواقف وقيم المبحوث (الراوي)، وتحدث هذه العملية وجهًا لوجه، وتكون إجاباتهم بشكل شفوي[12]. وتُعرف المقابلة أيضا؛ بأنها تفاعل لفظي يتم بين فردين في موقف مواجهة، حيث يحاول الشخص القائم بالمقابلة أن يستثير معلومات أو آراء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين، للحصول على بعض البيانات الموضوعية[13]. والمقابلة عموماً؛ عمادها أو ركناها الأساسيان: أولاً، المتحدث. وثانياً، السائل أو المُحاور، ويُعرّف الأول في التاريخ الشفوي بالرّاوي، والثاني يُعرّف بالباحث، هذا بالإضافة إلى الأسئلة، وآلة التسجيل.

في حين المقابلة عند آخر هي: وسيلة شفوية مباشرة، أو هاتفية أو تقنية لجمع المعلومات، يتم خلالها سؤال فرد أو خبير عن معلومات لا تتوفر عادة في الكتب أو المصادر الأخرى[14]. كما يمكن تعريف المقابلة بأنها محادثة موجهة، يقوم بها فرد مع آخر أو أفراد آخرين لاستغلالها في بحث علمي، أو الاستعانة بها في التوجيه والتشخيص للعلاج[15]. والمقابلة أو الاستبار[16] ليست منهجا، وإنما هي أداة من أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي، بل وأكثرها استخداما وأحسنها وأفضلها على الإطلاق، خاصة في المجتمعات التي تنتشر فيها الأمية[17].

ومن التعريفات السابقة يمكن القول أن المقابلة هي: "محادثة موجهة يقوم بها شخص (الباحث)، مع شخص آخر (الراوي)، أو أشخاص آخرين؛ بهدف الحصول على معلومات، وذلك بواسطة أسئلة يتم طرحها عليه، وتكون المحادثة بشكل مباشر، وجهًا لوجه، وبشكل شفوي؛ لتصبح مفيدة للبحث العلمي"[18]. وتُظهر المقابلة أيضا، بعض الجوانب التي لا يلتفت لها التاريخ المكتوب، مثل المشاعر، والأحاسيس، والانفعالات، وما لها من تأثير على رواية الحدث التاريخي، فعندما تسقط دمعته، أو يفرك يديه، أو يكفهر وجهه، يدل ذلك على مدى تأثير الحدث على الراوي.

3- خطوات عملية في تنفيذ المقابلة الشخصية:

الإعداد الجيد للمقابلة الشفوية، هو دون شك مفتاح النجاح في كل مشاريع الرواية الشفوية، ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة من حيث أن هناك فرصة حقيقية وسهلة أمام الباحث، للتأكد من صحة ودقة المعلومات الواردة في المصادر الشفوية؛ لذلك فإن على الباحث الميداني في التراث

الشفوي عموما، أن يتبع الخطوات الآتية لضمان الحصول على مقابلات جيدة قابلة للاستخدام والحفظ:

أ- المقابلة التمهيدية:

تعتبر المقابلة التمهيدية(جلسة الاستكشاف)[19] و هي اتصالاً أولياً بين الباحث والراوي، وهي فرصة جيدة لإنشاء نوع من الألفة والمودة والثقة بينهما. وبطبيعة الحال فإن هذه العلاقة الوليدة؛ ستلعب دوراً هاماً فيما بعد لتذليل الكثير من العقبات التي قد تعترض سير البحث التاريخي أثناء المقابلات الفعلية التي سيجريها الباحث مع الراوي، كذلك فإن هذه العلاقة الناشئة ستخدم الباحث بشكل كبير، إذ أنه سيلقى تعاملاً وسيجد تعاوناً من طرف الراوي أكثر يسراً ومرونة. وبلا شك فإن طبيعة هذا التعاون وحجمه ونوعه، ستحدده قدرة الباحث على اكتساب مودة الرواي المستهدف، وكذلك براعته في الولوج إلى ذاكرته، فهناك مهارات ينبغي على الباحث في التاريخ الشفوي أن يتقنها في هذه المرحلة؛ كي ينجح في إحداث تقارب ايجابي بينه وبين الراوي، وهذه المهارات الشخصية والعلمية ينبغي أن يوظفها لهدف واحد، وهو محاولة اكتشاف شخصية الراوي من حيث سلوكه وصفاته وظروفه، فإذا نجح في تحقيق هذا الهدف، يكون قد نجح في صنع مصادره الشفوية؛ وبالتالي يستطيع توظيفها بشكل فاعل لخدمة جوانب بحثه المختلفة، وتوجيهها نحو تحقيق أهدافه المرجوة، ويقول أحدهم: "إنك لا تستطيع أن تؤرخ لعصر إلا إذا ألممت بروحه. ولا تستطيع أن تؤرخ لرجل إلا إذا ألممت بظروف عصره، وتمكنت من الإحاطة بظروفه الشخصية أيضا، حتى أوصافه الجسمية لابد من معرفتها، فهي في كثير من الأحيان ذات أثر بعيد في توجيه فكره وحياته"[20].

والمقابلة التمهيدية، ركناً أساسياً من أركان البحث في التاريخ الشفوي، فلا يصح للباحث في التاريخ الشفوي أن يتغاضى عنها، فيقوم بإجراء المقابلة الفعلية قبل الانتهاء من المقابلة التمهيدية؛ لأن مثل هذا الإجراء الخاطئ سينجم عنه خلل منهجي واضح. وإن أي مقابلة فعلية تنفذ مع الراوي قبل إجراء مقابلة تمهيدية معه، ستكون معرضة للتعثر، وقد يصل الأمر بها إلى الإخفاق؛ بسبب توقع بروز بعض الخلافات حول قضايا مختلفة، كان من المفترض مناقشتها والاتفاق بشأنها مع الراوي أثناء المقابلة التمهيدية، وبسبب توقع ظهور ثغرات وقصور ومغالطات في جوانب من مادة الروايات الشفوية، جراء عدم التحضير والاستعداد لها مسبقاً من قبل الطرفين من الناحيتين العلمية والنفسية. والإجراء الخاطئ من قبل الباحث في التاريخ الشفوي؛ سيفرز نتاجاً مشوهاً ومنقوصاً ومبتوراً؛ ولتجنب ذلك يجب إتباع المنهج السليم في هذه المسألة، وهو إجراء مقابلة تمهيدية حسب أصول البحث في التاريخ الشفوي، وهذه المقابلة من شأنها أن تذلل عقبات البحث، وأن تدفع به نحو تحقيق الأهداف بطريقة موضوعية[21]. وليس كل من يستجيب لأجراء مقابلة شفوية بقادر على إفادة الباحث، ولذلك

ينصح بإجراء مقابلة تمهيدية قبل التسجيل للتعرف على الراوي وقدراته. إن مقابلة كهذه وإن بدت عملاً إضافياً فإنها مهمة جداً للأسباب الآتية:

– تعرُّف الباحث بالرّاوي، وتخلق بينهما نوعاً من التآلف والثقة.

– تعطي فرصة للباحث لاختبار معلومات الراوي، وصفاء ذاكرته، وقدرته على الاستذكار، واستعداده للتعاون مع الباحث.

– تساعد الباحث على تعديل اسئلته بحيث تناسب الراوي.

– تعرف الراوي بأهداف البحث، وتتيح له الفرصة لتنظيم أفكاره كي تناسبها.

– لأخذ موافقة الراوي على استخدام الرواية من قبل الجهات المعنية بعد أن تُسجل.

– تُعرّف الباحث على الظروف التي ستتم فيها عملية التسجيل، من حيث توافر الإمكانيات الفنية مثل الهدوء، ومصدر للطاقة؛ ولذلك يفضل ان يجري هذا اللقاء في المكان نفسه الذي ستنفذ فيه المقابلة الحقيقية إن أمكن.

ت– **ضرورة اطلاع الراوي على موضوع المقابلة:**

من المفيد كثيراً أن يكون الراوي على علم بموضوع المقابلة، والباحث الناجح في التاريخ الشفوي عليه أن يزود الراوي بأمرين خلال المقابلة هما: ملخص عن الموضوع، ومجموعة الأسئلة المقترح طرحها عليه؛ لأن هذا الإجراء سيخدم الباحث كثيراً خلال المقابلة الشخصية الفعلية، حيث سيكون لدى الراوي فرصة للإطلاع على ملخص الموضوع، وعلى مجموعة الأسئلة المقترحة، كذلك سيكون لديه مساحة زمنية مناسبة تمكنه من التحرك فيها؛ من أجل التفكير والتذكر والمراجعة بشكل دقيق ومنظم، ويسترجع أحداث ومواقف لم تكن لتحصل لو تمت المقابلة بشكل مفاجئ ودون ترتيب وتنسيق مسبق.

إن إلمام الراوي بموضوع البحث، سيتضح بشكل جلي خلال المقابلة الفعلية، فتراه يطرح الموضوعات بشكل شمولي دقيق، وقد يوثق رواياته بمصادر مختلفة، ويدعمها بما يملكه من قرائن وأدلة؛ لأن إطلاعه المسبق على موضوع البحث منحه فرصة قوية لتجميع مادة الموضوع وتنظيمها وتبويبها، وبالتالي فإن طروحاته ستكون مفصلة وأكثر موضوعية، كذلك فإن هذه الفرصة ستساهم في تنقية أقواله من الشوائب والزيف، على اعتبار أنه كانت لديه فرصة كافية لمراجعة نفسه ومحاسبتها وتوطينها؛ للإدلاء بما يمليه عليه ضميره، بخلاف لو تمت المقابلة بشكل عفوي، فقد لا تكون لديه فرصة لتنظيم أفكاره ومراجعة ضميره، ومن المحتمل في هذه الحالة أن تكون رواياته عبارة عن ردات أفعال متسرعة ومتهورة أكثر منها حقائق تاريخية، كذلك فإن عرض الموضوع مسبقاً على الراوي أثناء المقابلة التمهيدية، قد يحفزه ويدفعه للبحث عن موجودات ومقتنيات لها صلة بالموضوع، سواء كانت

مخططات أو خرائط أو صور أو مستندات أو ما شابه، وإن حدث هذا فهو إنجاز يسجل للباحث، فيكون قد وفر لبحثه قرائن ودلائل تدعم رواياته الشفوية، كذلك فإن هذا الإجراء من شأنه أن يعطي فرصة للراوي لرصد قائمة بأسماء رواة آخرين لهم صلة بالحدث، وهذا الشيء إن تحقق فإنه سيخدم الباحث بدرجة كبيرة، إذ أنه سيوفر عليه جهداً كان سيبذله للبحث عن رواته[22].

ث- **تحديد زمان ومكان المقابلة:**

تمثل المقابلة التمهيدية فرصة كبيرة لتحديد المكان الذي سيلتقي فيه الباحث مع الراوي، وعلى الباحث في التاريخ الشفوي أن يدرك بأن المكان يحتل مكانة خاصة في نفوس الكثيرين، وأنه يعني لديهم أشياء كثيرة، فهو يمثل بالنسبة لهم الماضي بكل ما فيه من صور ومظاهر، لا زالت تعيش في ذاكرتهم وتقتات بها مشاعرهم، فالماضي هو ملهمهم في أيام ضعفهم ويأسهم. ولذلك ينبغي على الباحث في التاريخ الشفوي أن يتريث كثيراً قبل أن يبت في أمر تحديد مكان المقابلة مع الراوي؛ لأن تحديد المكان لا يكون بصورة عشوائية، ولا يكون كالمعتاد في منزل الراوي أو مكان عمله كما يقرر بعض الباحثين[23]، كما أن تحديد مكان المقابلة لا يتم بمجرد التقاء الباحث بالراوي، وإنما يتم الاتفاق عليه بعد أن يكون الباحث قد سار شوطاً في دراسة شخصية الراوي وصفاته وسلوكه وظروفه وواقعه، لأن كشف مثل هذه الحقائق تخدم الباحث بشكل جيد, وتمكنه من اختيار المكان الأنسب للالتقاء بالراوي.

وعلى العموم فإن الاختيار الصحيح لمكان المقابلة الفعلية يعتبر من عوامل نجاحها، ومن أهم المواصفات التي ينبغي أن تتوفر في مكان المقابلة: الهدوء، وعدم وجود أشخاص آخرين غير مستهدفين قد يؤثر تدخلهم في سير المقابلة ومصداقية حديث الراوي؛ "لأن هناك الكثير من الموضوعات التي يتحرج منها الإخباري، بل وهناك ما قد تصل به إلى محاولة إنكاره أو على الأقل تحريفه"[24]. فالراوي إذا وجد نفسه في مكان يأنس إليه، ويشعر فيه بالأمان والهدوء، فإنه سيشعر باسترخاء جسدي وعقلي يساعده على التفكير بشكل سليم ومنظم، وستكون نفسيته في حالة تسمح لذاكرته باسترجاع أحداث الماضي واجترارها. ولذلك يمكن القول أن تحديد مكان المقابلة هو عمل مشترك بين الباحث والراوي، فالباحث له أهداف والراوي له متطلبات، وعلى الباحث أن يوفق بين المطلبين ويقرر المكان بعد موافقة الراوي، وبالرغم من أن الراوي هو الذي يستضيف الباحث لإجراء المقابلة، وبالتالي هو الذي يحدد المكان الذي ستجرى فيه المقابلة، فإن الباحث يجب أن يقرر: هل المكان الذي أعده الراوي مناسباً لإجراء المقابلة أم لا.

وجرت العادة أن يلتقي الباحث بالراوي في منزله أو في مكان عمله، ولعل هذا المألوف سببه النظرة التقليدية تجاه مكان المقابلة، ولكن إذا نظرنا للمكان من خلال عين الباحث المتمرس التي ترقب وتبحث عن كل شاردة وواردة، كي تميط اللثام عن المجهول وتكشف أسراره، فإن الأمر سيختلف كلياً،

وسيصبح المكان ليس مصطلحاً مجرداً، وإنما معنى وقيمة وذكرى عند صاحبه، ولذا يفترض أن يتم اختيار مكان المقابلة بعد دراسة مستفيضة لماضي الراوي وشخصيته وسلوكه وظروفه، فيتم بذلك الخروج عن المألوف وتحصيل غير المألوف، بمعنى قيام الباحث من خلال دراسته لشخصية الراوي خلال المقابلة التمهيدية بتعيين ورصد الأمكنة التي تحتل مكانة خاصة في وجدانه وتربطه بها ذكريات، ومن ثم الاتفاق معه للالتقاء به في إحدى هذه الأمكنة، في محاولة منه للخروج من بين جدران منزل الراوي أو مكتبه الصامتة، إلى جدران ماضيه الناطقة، فيطل من نافذتها على شواطئ الماضي وأطلاله.

كذلك يكون المكان أحياناً سبباً في إفشاء ذكريات طالما ظلت حبيسة نفس صاحبها، ولم يكن يسمح لنفسه من قبل بالبوح بها، لولا أن أرغمته خصوصية المكان على فعل ذلك، فعندما يكون الإنسان موجوداً في مستشفى على سرير المرض، فإنه يكون في مكان يوحي له بضرورة تخليص النفس من قيودها، وكأنه يجري حملة تطهير نفسي، فيصرح بأمور كان يتحفظ عليها سابقاً ويعترف بها بكل موضوعية ونزاهة. وأحياناً يتحدد مكان المقابلة بمحض الصدفة ودون ترتيب مسبق، وقد تتوفر في هذا المكان عوامل مناسبة لعقد اللقاء، وعلى الباحث ألا يفوت هذه الفرصة رغم عدم اختياره لمكان اللقاء وعدم استعداده له، لأن هذه الفرصة قد لا تتكرر مرة أخرى.

فالمكان يعد ركناً أساسياً من أركان المقابلة الشخصية الفعلية الناجحة، وهو يؤثر بشكل كبير على سيرها، وعلى حجم ونوعية البيانات التي يحتفظ بها الراوي، والمكان له خصوصية لدى الكثيرين، فهو بمثابة المفتاح الذي يفتح باباً طالما كان موصداً وعصياً أمام المحاولات المتكررة. وعلماء النفس يستخدمون المكان لتعديل السلوك، كما أن المحققون الجنائيون يوظفونه لاستجواب المشتبه بهم، ولذلك فإن المكان يشكل جزءاً هاماً في حياة الناس، ففيه تكمن ذكرياتهم، وبين ثناياه تختبئ تجربتهم، وعلى أغصانه ترقد مشاعرهم، وعلى صخوره تترسخ أحلامهم، فليس هناك أعظم من المكان لإثارة الذكريات ونفض غبار الزمان عن صفحات الحياة[25].

أما بالنسبة لتحديد زمن المقابلة، فينبغي على الباحث في التاريخ الشفوي أن يرصد أثناء المقابلة التمهيدية الأوقات التي تصلح لإجراء المقابلة الفعلية مع الراوي، لأن اختيار الوقت المناسب يعتبر عنصراً هاماً من عناصر نجاح المقابلة، وليس بالضرورة أن يترك تحديد الوقت للراوي فقط كما يقرر بعض الباحثين، بل يجب أن يشاركه في ذلك الباحث أيضاً، لأن الباحث له رؤية وهدف من وراء ذلك، فالوقت لدى الباحث يعتبر من تقنيات البحث في التاريخ الشفوي؛ ولذلك فإن توظيفه يعد مهمة ضرورية، ولا سبيل للتعامل مع هذه المسألة ببساطة، وكأن الوقت هو عنصر لا يؤثر على سير المقابلة. كذلك لا يصح للباحث في التاريخ الشفوي أن يجدول مواعيد مقابلاته حسب أوقاته وظروفه، دون مراعاة لظروف الراوي، فهذا إجراء خاطئ يعود بأكبر الضرر على سير المقابلة الفعلية، كذلك

يجب على الباحث الابتعاد عن أوقات الراوي الخاصة: كالمناسبات العائلية وساعات العمل والانشغال..[26].

وعلى العموم فإن تحديد موعد المقابلة الفعلية، يعد مهارة في تقنيات البحث في التاريخ الشفوي؛ لأن الوقت يشكل جزءا من ثقافة الإنسان. فالباحث الناجح سيتلمس الموعد المناسب لإجراء المقابلة الفعلية؛ من خلال دراسته لشخصية الراوي ومراجعة ملف حياته، والراوي في الأغلب سيوافقه على اختياره, لأنه سيشعر براحة حيال هذا الموعد، وسيجد في نفسه ميل ورغبة في أن يكون اللقاء في هذا الموعد، وهكذا تكون قد تقاطعت أهداف الباحث مع رغبات الراوي في اختيار الوقت المناسب لتحديد إجراء المقابلة الفعلية. إن اختيار الوقت المناسب يعد من أسس المقابلة الشخصية الفعلية الناجحة، فالوقت عالم كبير، وهناك من يختبئ بين أحضانه مستأنساً بعيداً عن صخب الحياة وهمومها، وهناك من ينتظر عتمته ليرسم ملامح مستقبله، وهناك من يتعلق بأهدابه للعودة إلى الماضي البعيد، وهناك من يحتضن كراسة ذكرياته ليتصفح حنين أحلامه وآماله[27].

ج- **ضبط الأسئلة، وطريقة إدارة الحوار:**

على الباحث أن يدرس موضوع بحثه من الكتب والمراجع، لِيِ ُكوِّن صورة واضحة تناسب البحث، ثم يبدأ في وضع أسئلة مفيدة ومتسلسلة تسلسلا منطقيًا لتحقيق أغراض وأهداف الدراسة. ويشترط أن يتوفر في هذه الأسئلة الوضوح والموضوعية، وتغطية جميع جوانب موضوع الدراسة، والترتيب المناسب، وأن لا تكون متحيزة، توحي بإجابة معينة، إضافة إلى عدم طرح أسئلة شخصية دقيقة للراوي[28]. وأن تكون من النوع المفتوح، لتتيح للراوي الحديث المفصل عن الحادثة، والأسئلة المفتوحة هي الأسئلة التي تبدأ بكلمات: ما هو، ما هي، لماذا، ما الذي، وبذلك يتاح للراوي الحديث المفصل. أما الأسئلة المغلقة فلا تناسب التاريخ الشفوي، وهي الأسئلة التي تبدأ بكلمات مثل: ما عدد، متى، كم، لأن هذه الأسئلة محدودة الإجابة.

ومن الإجراءات الضرورية التي على الباحث القيام بها أثناء المقابلة، البدء بحوار مشوق يسمح بظهور الأسئلة بطريقة تلقائية ودون افتعال، ومحاولة إيجاد علاقة بين اهتمامات الراوي وموضوع المقابلة؛ لأن ذلك يشعر الراوي بالارتياح. بدء المقابلة بتقديم بعض الأسئلة السهلة ذات الطابع الحيادي، ثم تتدرج بشكل طبيعي نحو الأسئلة الأكثر أهمية، كالأسئلة الشخصية أو الداعية إلى اتخاذ مواقف. وأن يكون الباحث واضحًا مع الراوي فلا يحاول خداعه فالراوي إنسان ذكي يستطيع تمييز الأمور ولو حاول الباحث خداعه، سيتخذ موقفًا سلبيًا من كل المقابلة. كما يجب عدم إجهاد الراوي بالأسئلة الكثيرة، وعدم إعطائه الفرصة لإدارة المقابلة والسيطرة عليها، والإصغاء الجيد للراوي وتشجيعه على الاستمرار بالحديث، وذلك من خلال الإيماء بالرأس، وبعض الإشارات والكلمات التي تشعره بأن الباحث منصت ويفهم ما يطرحه، والحفاظ على دافعية الراوي إلى أقصى حد وذلك طوال فترة المقابلة،

فقد يحدث أن يَمَل الراوي من أسئلة الباحث؛ لذلك عليه أن يقدم له من حين لآخر الشكر على بذل الجهد والوقت في الإجابة عن الأسئلة، ويشعره بقيمة المعلومات التي يقدمها[29]. وينصح أن لا تتعدى المقابلة الساعة أو الساعتين في الطول، اعتمادا على مستويات التعب من الباحث والضيف(الراوي).

وعلى الباحث أن يطرح سؤالا واحدًا في كل مرة، ويتأكد من أن الراوي قد فهم السؤال جيدًا، وأن يتجنب الباحث الإيماء للراوي بالإجابة، ويعطيه فرصة كافية للإجابة ويستمع إليه باهتمام، ويراقب سلوكه وتعبيرات وجهه، ولا يبدي دهشة أو استغرابًا إذا كشف الراوي عن حقائق غير عادية[30]. إظهار الدفء والود نحو الراوي بحيث يشعر بالأمن والطمأنينة، ويبتعد الباحث عن وضع الراوي في موقف الاتهام والطلب منه الدفاع عن نفسه[31]. ويجب أن يتحدث الباحث بصوت مسموع وبعبارات واضحة وأن يستخدم اللغة البسيطة الشائعة في تقديم الأسئلة، ويتجنب استخدام ألفاظ النقد المباشر للراوي إذا بالغ فيما يقول؛ أو تضمن كلامه بعض الروايات غير الصحيحة[32]. ثم إنهاء المقابلة بطريقة متدرجة وليست مفاجأة بانتهاء الزمن أو وقت العمل، مما يشعر الراوي بالإحباط والرفض، ويفضل إنهاء المقابلة باستعراض وتلخيص ما دار فيها، ومن الأحسن أن يكون ذلك على لسان الراوي نفسه.

وإن من الطرق والوسائل التي يُقاس بها مدى واقعية ما يرويه أي راو، عن حدث معين في فترة زمنية ما، هو التساؤل للتثبت؛ إن كان فعلا عايش الحدث وعاصره؟ أم أن الأمر محض ادعاء وافتراء؟ وهذا الأمر يتوقف على حسابات الزمن المتعلقة بسن الراوي، وعلى صفة الراوي ومكانته من الواقعة التاريخية المراد رواية أحداثها. فعندما يدعي الراوي بأنه عايش واقعة تاريخية ما زمن وتاريخ وقوعها، عندها يجب البحث لمعرفة زمن ومكان ولادته فالراوي ربما يروي واقعة أو حادثة تاريخية كان سنه وقتها لا يتجاوز ثلاث أو خمس أو عشر سنوات، أو حتى أنه لم يكن وقتئذٍ قد ولد، أو أنه قد سمعها عن والده أو ممن هم أكبر منه سنا. كما أنه وكلما اقترب الراوي من الحدث اقترابًا مباشرًا وقت حدوثه، كلما كانت روايته أقرب إلى الوثوق منها، إلى تلك الروايات التي لم يتفاعل ولم يعايش رواتها الحدث، أو حتى أنه ربما لم يكن قد توفر للراوي الإدراك العقلي والذهني؛ بحكم سنه للإلمام بالتفاصيل عند وقوع الواقعة التاريخية المراد البحث في أحداثها، ومن هنا فإن الرواية في التاريخ الشفوي تتطلب راو عايش وعاصر الحدث، لا راو سمع من فلان وفلان عن الحدث الذي وقع[33].

ح- عيوب المقابلة:

وللمقابلة عيوب كما لها مزايا، وقد رصد الباحثان: زكريا السنوار ونهال الجعيدي، عدة عيوب[34] نوجزها في الآتي:

- المقابلة، مُكلِّفة من ناحية الوقت والجهد والمال، حيث تحتاج إلى وقت أطول للإعداد للمقابلات، وتوجيه الاستفسارات، كذلك تحتاج الجهد في الحركة والتنقل وتهيئة المستلزمات المادية والنفسية.

- قد يخطئ الباحث في فهم بعض المعلومات أو في تسجيلها؛ لذا ينصح بإرسال الإجابات للراوي للتأكد من صحتها.
- قد لا يمتلك الباحث بعض الإمكانات مثل: الوقت الكافي واللباقة والجرأة والمهارة الكافية، فلا يستطيع الحصول على كل المعلومات المطلوبة للبحث.
- قد يُحجم الراوي عن تقديم كل ما لديه من معلومات، ويخشى من التعبير عن رأيه بصراحة؛ نتيجة إحساسه بأن اسمه معروف للباحث.
- هناك بعض العوامل الذاتية والموضوعية للراوي تؤثر على دقة المعلومات مثل: عامل الزمن، الأحداث البعيدة، وذاكرة الراوي.
- نوع جنس الباحث يؤثر على أخذ المعلومات من الراوي، فالمعلومات المأخوذة من امرأة لباحثة، تختلف عن المعلومات التي تتحدث بها للباحث الرجل.
- تتأثر الرواية بالحالة النفسية للراوي وحرصه على الظهور بمظهر إيجابي ومُهم.
- صعوبة الوصول إلى بعض الشخصيات؛ بسبب مراكزهم أو المخاطر المحدقة بهم، كزعماء الجماعات والأحزاب المعارضة.

الهوامش:

[1]- محمد مجاود، "أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية"، **مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية**، عدد خاص، ديسمبر 2012، ص ص. 7–8.

[2]- عبد الله بن إبراهيم العسكر، "أهمية تدوين التاريخ الشفهي"، **مجلة الدرعية**، ع. 39-40، [على الانترنيت]، تاريخ الاطلاع، 2014/14/30، الموقع الالكتروني:

http://www.alukah.net/culture/0/7295

[3]- حسان حلاق ومحمد سعد الدين، **المناهج العلمية في كتابة الرسائل الجامعية**، دار بيروت المحروسة، بيروت 1994، ص. 20.

[4]- زكريا إبراهيم السنوار، نهال صلاح الجعيدي، **المقابلة في التاريخ الشفوي**، ص. 215.
http://research.iugaza.edu.ps/files/10048.PDF

[5]- يوسف أحمد الحسن، "تاريخ المسحوقين، التاريخ الشفوي"، **مجلة الواحة**، مجلة فصلية تعنى بشؤون التراث والثقافة والأدب في الخليج العربي، ع. 60، السنة السادسة عشرة، شتاء 2010.

http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=586

[6]- سيد حامد حريز، **مناهج التراث والتاريخ الشفهي عند العرب**، كلية الآداب، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، 1999 م، ص. 4، وما بعدها.

7– ذوقان عبيدات وآخرون، **البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه**، دار مجدلاوي، عمان، د. ت، ص. 136.

8– وليد المدلل، **معنى التاريخ الشفوي وأهميته وموضوعاته**؛ ضمن كتاب محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، مركز التاريخ الشفوي، الجامعة الإسلامية، غزة، ماي 2005، ص. 20.

9– بريان أليسون وآخرون، **المهارات البحثية للطلاب**، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة 2002م، ص. 135.

10– ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج. 9، تح. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت 1987، ص. 2255؛ زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تح. يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1999م، ص. 246؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج. 2، دار الدعوة، ص. 712.

11- نصرت الله جوكاني، **المقابلة، مفهومها أهميتها، أنواعها تقييمها**، [على الانترنيت]، كُتب في 2013/06/02، تاريخ التصفح، 2014/04/29، الموقع الالكتروني:
http://aeuwbi.blogspot.com/2013/06/blog-post_2.html

12– معن خليل عمر، **الموضوعية والتحليل في البحث العلمي**، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983م. ص. 208.

13– فوزي غرابية وآخرون، **أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية**، الجامعة الأردنية، 1977م، ص. 43.

14– رجاء وحيد دويدري، **البحث العلمي أساسياته النظرية، وممارسته العملية**، دار الفكر، 1421هـ، ص. 322.

15– نفسه، ص. 323.

16– لفظ الاستبار مشتقة من سبر واستبر الجرح أو البئر أو الماء؛ أي امتحن غوره ليعرف مقداره. واستبر الأمر أي جربه واختبره. والسبر: استخراج كنه الأمر. ينظر: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، **تهذيب اللغة**، ج. 12، تح. محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2001، ص. 284.

17– نصرت الله جوكاني، المرجع السابق.

18– زكريا ابراهيم السنوار، نهال صلاح الجعيدي، المرجع السابق، ص ص. 217-218.

19– سعد أحمد الصوان، **جامع المأثورات الشفهية**، مطابع قطر الوطنية، قطر 1985، ص. 30.

20– حسين مؤنس، **التاريخ والمؤرخون**، دار المعارف، القاهرة 1984، ص ص. 65–164.

21– جهاد سليمان سالم المصري، **أهمية المقابلة التمهيدية في التاريخ الشفوي**، بحث نشر في كتاب المؤتمر العلمي: التاريخ الشفوي الواقع والطموح، الجامعة الإسلامية بغزة، 15–16 مايو 2006م. متوفر على الموقع:
http://www.thaqafa.org/site/pages/details.aspx?itemid=6581

22– نفسه.

23– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص. 65-164.

24– خالد صافي، المرجع السابق، ص. 50.

25– جهاد سليمان سالم المصري، المرجع السابق.

26– خالد صافي، المرجع السابق، ص. 49.

27– جهاد سليمان سالم المصري، المرجع السابق.

28– عامر قنديلجي، **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية**، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان 2002، ص. 190.

29– حمدي عطيفة، **منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها**، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1996، ص ص. 319–320.

[30]– ذوقان عبيدات وآخرون، المرجع السابق، ص. 134.

[31]– حمدي عطيفة، المرجع السابق، ص. 324.

[32]– خالد صافي، **سيكولوجية إجراء المقابلة وكيفية وضع أسئلتها**؛ في كتاب محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، مركز التاريخ الشفوي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، ماي 2005، ص. 54.

[33]– عدنان أحمد أبو شبيكة، **منهج نقد الوثيقة الرسمية وإمكانية تطبيقها على الرواية في التاريخ الشفوي**، نشر بمجلة الجامعة الاسلامية، بغزة، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي، التاريخ الشفوي الواقع والطموح، 15-16 مايو 2006م ، [على الانترنيت]، الموقع الالكتروني:
http://www.islamichistory.net/forum/showthread.php?t=1606

[34]– زكريا السنوار ونهال الجعيدي، المرجع السابق، ص ص. 234–235.